أخلاق الحاج

إن الاخلاق التي ينبغي ان يتخلق بها حجاج بيت الله الحرام كثيرة لا يمكن استيعابها في هذه الصفحات، ولكن نشير الى جملة من امهات هذه الاخلاق للتذكير والتنبيه:

1 ـ الإخلاص

فعلى الحاج أن يكون الباعث له على أداء نسكه هو طلب مرضاة الله تعالى وابتغاء الأجر والمثوبة منه سبحانه، وألا يكون في نفسه شيء من حظوظ الدنيا لأن الله تعالى يقول في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه» (رواه مسلم)، وبعض الحجاج، هداهم الله، يريد من حجه أن يحصل على اللقب، فيقال «الحاج فلان» وبعضهم يريد أن يحج حتى لا يقال إنه لا يجد ما يحج به، وبعضهم يحج كل عام ليتفاخر بعدد المرات التي حجها، وكل هؤلاء لا ثواب لهم في حجهم، بل عملهم مردود عليهم، وعليهم الإثم. والنبي ﷺ حج حجة واحدة قال فيها: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة» (رواه ابن ماجة وصححه الألباني).

2 ـ المتابعة

ينبغي على الحاج أن يتأسى بالنبي ﷺ في حجته وأن يبحث عن الأفضل ليفعله، ولا يتتبع رخص العلماء، فمن تتبع رخصة كل عالم اجتمع فيه الشر كله، والنبي ﷺ قال: «خذوا عني مناسككم» (صححه الألباني)، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا له، صوابا على سنة نبيه ﷺ.

3 ـ التقوى

فمن أخلاق الحاج: التقوى، لقوله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ـ البقرة: 197)، والتقوى هي: «ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وان تحذر من معصية الله، على نور من الله تخشى عقاب الله».

4 ـ العلم

وقد ذكرنا لزوم اتباع السنة والتأسي بالنبي ﷺ في حجته، ولا يتم ذلك إلا بالعلم الشرعي المؤصل بالكتاب والسنة وما فهمه سلف هذه الأمة من نصوص الكتاب والسنة، وما قرره العلماء الربانيون المتبعون للكتاب والسنة، فينبغي على المسلم إذا نوى الحج أن يتعلم مناسك الحج وفق الكتاب والسنة وأن يسأل فيما أشكل عليه أهل العلم ويعمل بكلامهم وإن كانت تخالف هواه ورغبته.

5 ـ الخوف والرجاء

فينبغي على الحاج أن يكون خائفا راجيا، وهكذا كان سلف هذه الأمة، منهم من كان يغلب عليه الخوف، ومنهم من كان يغلب عليه الرجاء.

قال مطرف: «اللهم لا ترد أهل الموقف من أجلي».

وقال بكر يوم عرفة: «ما أشرفه من مقام وأرجاه لأهله، لولا أني فيهم».

وقال ابن المبارك لسفيان الثوري عشية عرفة: «مَن أسوأ هذا الجمع حالا؟ قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

6 ـ التوبة الصادقة

ومن أخلاق الحاج التوبة الصادقة، وهي: «الرجوع عما يكرهه الله ظاهرا وباطنا، إلى ما يحبه الله ظاهرا وباطنا»، قال تعالى: (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون ـ النور: 31).

والتوبة واجبة في كل حال على العموم، إلا أنها في حال الحج آكد وجوبا.

7 ـ حسن الخلق

وحسن الخلق كما عرفه الحسن البصري رحمه الله يتضمن أمورا ثلاثة هي:

1 ـ كف الأذى.
2 ـ بذل الندى.
3 ـ طلاقة الوجه.

وهذه الثلاثة متأكدة جدا في حق الحاج، فينبغي أن يكف الحاج أذاه عن الناس سواء فيما يتعلق بأموالهم، أو فيما يتعلق بأنفسهم، أو فيما يتعلق بأعراضهم.

ومن الأذى: التضييق على الحجاج ومزاحمتهم ومدافعتهم والافتراش في طرقهم واستغلاله بأي وسيلة كانت.

وأما بذل الندى فهو الكرم والجود.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «والكرم ليس كما يظنه بعض الناس أنه بذل المال فقط، بل الكرم يكون في بذل النفس، وفي بذل الجاه، وفي بذل المال، وفي بذل العلم».

قال النبي لإحدى النساء: إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك (صححه الألباني)، وقال: «بر الحج: إطعام الطعام، وطيب الكلام» (حسنه الألباني).

وفي الحديث: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «سقي الماء» (حسنه الألباني).

وأما طلاقة الوجه فهي: «ملاقاة الناس بالبشر والحفاوة».

قال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (رواه مسلم).

ومن حسن الخلق في الحج: العفو عن المسيء، وقبوله المعاذير، وترك الغضب، والرفق واللين، والحلم، وإدخال السرور على الحجاج، وقضاء حوائجهم، وغير ذلك من أوجه البر وصنائع المعروف.

8 ـ الصبر

ومن أخلاق الحاج: خلق الصبر، لان الحج من أكثر العبادات التي تحتاج إلى صبر، لما فيه من الزحام واختلاف طبائع البشر وعاداتهم، وكذلك يحتاج يحتاج الحاج إلى الصبر وعلى طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أدار الله، والصبر على مفارقة الأوطان والأهل والأحباب، قال تعالى: (والله يحب الصابرين ـ آل عمران: 146).

9 ـ التواضع

ومن أخلاق الحاج: التواضع، فالحاج حينما يخلع ملابسه ويلبس إزارا ورداء، فإنه يعلن بذلك عن تواضعه وذله لله رب العالمين، ولكن ينبغي أن يؤكد ذلك بتواضعه لعباد الله وعدم الترفع عليهم والتكبر على فقرائهم وضعفائهم. قال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» (رواه مسلم).

10 ـ التأني وترك العجلة

فإن بعض الحجاج تراه يزاحم ويسابق ويدافع كأنه في سباق، وهذا ليس من البر، وبعض الحجاج يتعجل ولا يتأكد من معرفة حدود المشاعر، فتراه يجلس يوم عرفة خارج حدود عرفة وهو لا يشعر وهذا خطأ عظيم، لأن من فاته الوقوف بعرفة، بطل حجه، وكذلك لا يتأكد من حدود منى ومزدلفة، ولا يتأنى عند التقاط الجمرات، فيلتقط الحصى الكبيرة التي لا تجزئ. والنبي ﷺ حينما دفع يوم عرفة فسمع وراءه زجرا شديد وضربا للإبل، أشار بسوطه وقال: «أيها الناس، عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع» (رواه البخاري)، والإيضاع: هو الإسراع والعجلة.

لا فرق بين حقوق الرب وحقوق العباد

النشمي: الحج المبرور يكفر الذنوب ولا يسقط الحقوق

د.عجيل النشمي

المراد بالتكفير هو الذنب والكبيرة كتأخير الصلاة ونحوها ومطل الدين والجناية على النفس

الواجبات المترتبة على ارتكاب تلك الذنوب لا تسقط لأنها ليست ذنوبا

قال رسول الله ﷺ: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه»، فاذا كان الحج يكفر الذنوب صغيرها وكبيرها، فهل الحج والتوبة يسقطان حقوق الله وحقوق العباد ام يسقط حق الله تعالى فقط؟

هذا ما يوضحه لنا رئيس رابطة علماء الشريعة لدول مجلس التعاون الخليجي والعميد السابق لكلية الشريعة والدراسات الاسلامية د.عجيل النشمي.

يقول د.النشمي: إن المظالم والتبعات وإن سقط بالحج إثم تأخيرها في الماضي لا تسقط هي، بل لابد من وفائها، وأنه يتجدد إثم آخر بعد الحج بتأخير الوفاء مع القدرة عليه، فإن عجز عن الوفاء وتاب إلى الله تعالى ومات على ذلك يرجى أن يسقط عنه إثم التأخير عن الوفاء.

ويقول الشيخ حسنين مخلوف رحمه الله (مفتي الديار المصرية سابقا): روى البخاري في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من حج لله فلم يرفث، الرفث: الفحش في القول.

وقال الازهري: هو كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأة، «ولم يفسق» لم يأت بسيئة ولا معصية، «رجع كيوم ولدته ا مه» اي رجع من ذنوبه مشابها لنفسه في انه يخرج بلا ذنب كما خرج يوم الولادة بلا ذنب، والذنوب تشمل الصغائر والكبائر والتبعات فيكفرها جميعا الحج المبرور المقبول المأجور، اما الصغائر فلا خلاف في انه يكفرها ويهدمها.

أداء الحقوق

وأكد ان الكبائر والتبعات ليس معنى تكفيره اياها ما يظنه كثير من الناس خطأ من انه يسقطها، سواء تعلقت بحق الله تعالى او بحق العبد، فإنه لم يقل احد بذلك وانما معناه انه يسقط اثم تأخير التوبة منها فقط، اما الحقوق نفسها فإنها لا تسقط مطلقا، لأنها ليست ذنوبا ومعاصي، انما الذنب والمعصية تأخيرها، وهو الذي يسقطه الحج المبرور، ويجب على من عليه هذه الحقوق اداؤها بلا تأخير، واذا اتم الحج بالوقوف بعرفة واستمر على تأخيرها صار آثما من جديد بهذا التأخير.

مطل الدين

ذكر ذلك العلامة ابن نجيم في «البحر الرائق» وبينه العلامة ابن عابدين في حاشيته عليه بما خلاصته «أن من أخر صلاة عن وقتها فقد ارتكب معصية وهي التأخير، ووجب عليه القضاء، وإذا مطل الدين فقد ارتكب معصية هي المطل مع وجوب القضاء، وكذلك من قتل إنسانا فقد ارتكب معصية وهي الجناية على النفس، ووجب عليه شيء آخر وهو تسليم نفسه للقصاص أو تسليم الدية، فإذا أخرها كانت معصية أخرى غير معصية القتل.

الواجبات

وكذا نظائر ذلك مما يكون معصية يترتب عليها واجب، سواء كان هذا الواجب من حقوق الله تعالى أم من حقوق العباد. فما ورد في الأحاديث من تكفير الحج للذنوب والتبعات فالمراد تكفيره لما هو ذنب وكبيرة كتأخير الصلاة ونحوها ومطل الدين والجناية على النفس.

وأما الواجبات المترتبة على ارتكاب تلك الذنوب، من لزوم قضاء الصلاة وأداء الدين وتسليم نفسه للقصاص أو تسليم الدية، فإنها لا تسقط، لأنها ليست ذنوبا بل هي واجبات. والتكفير إنما يكون للذنوب، ألا ترى أن التوبة تكفر الذنوب بالاتفاق، ولا يلزم من ذلك سقوط الواجبات المترتبة على تلك الذنوب.

على أن التوبة من ذنب الغصب مثلا لا تتم إلا بأداء واجب وهو رد المغصوب أو ضمانه، ولا يخرج الغاصب عن عهدة الغصب في الآخرة إلا به، فمن غصب شيئا ثم تاب لا تتم توبته إلا برده أو ضمانه دون تأخير.

التوبة

واضاف د.النشمي: والحج كالتوبة في تكفير الكبائر، سواء تعلقت بحقوق الله تعالى أو بحقوق العباد أو لم تتعلق بحق أحد، أعني لم يترتب عليها واجب آخر كشرب الخمر ونحوه، فيكفر الحج الذنب ويبقى حق الله تعالى وحق العبد في ذمته، إن كان ذنبا يترتب عليه حق الله أو حق العبد، وإلا فلا يبقى عليه شيء.

قال العلامة اللقاني في شرحه الكبير على «جوهر التوحيد»: ان من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه، اي سقط عنه اثم مخالفة الله تعالى، ولا يتناول ذلك حقوق الله وحقوق العباد، لأنها في الذمة وليست ذنوبا، انما الذنب المطل في الحق فيتوقف على اسقاط صاحبه.

ونقل القسطلاني عن الترمذي ان الحقوق نفسها لا تسقط بالحج، فمن كان عليه صلاة او كفارة ونحوهما من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه بالحج، لأنها حقوق لا ذنوب وانما الذنب تأخيرها، فالتأخير يسقط بالحج لا هي انفسها، ولو اخرها بعد الحج تجدد اثم آخر، وبالجملة فالحج المبرور يسقط اثم المخالفة لا الحقوق.

لا فرق

وظاهر انه لا فرق في ذلك بين حقوق الله تعالى وحقوق العباد، فيسقط في الكل اثم التأخير فقط بالنسبة لما مضى دون الاصل ودون التأخير المستقبل، كما بينه ابن نجيم وابن عابدين، والله اعلم.

المسلم وأهمية الوقت

الحمدلله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى.

الصحة والفراغ رأسمال عظيم لكونهما من أسباب الأرباح، ومقدمات النجاح، فمن عامل الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ربح، ومن عامل الشيطان باتباعه ضيع رأسماله،

د.محمد الحمود النجدي

قال بعض العلماء: من أمضى يومه في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد الله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه، فقد عق وظلم نفسه، وقد قال ﷺ «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ». رواه البخاري، هاتان النعمتان من لم يستعملهما فيما ينبغي فقد غبن لكونه باعهما بثمن بخس، ولم يحمد رأيه في ذلك، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم أو الهرم، قال ﷺ «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك» رواه الحاكم البيهقي.

الوقت الضائع

● يضيع بالنوم: النوم حاجة طبيعية، كما قال النبي ﷺ «ليس في النوم تفريط، انما التفريط في اليقظة» أي ان التفريط ان يراقب الإنسان ساعات حياته تمر دون ان يشغلها فيما يستفيد منه في دنياه وآخرته.

● يضيع عندما لا يغتنمه، لذلك يجدر بالمسلم ان يتفحص جدوله اليومي أو الأسبوعي، وينظم وقته لتحقيق قدر أكبر من الاستفادة من العمر.

● يضيع وقت المسلم عندما لا يذكر الله سبحانه وتعالى فيه، قال رسول الله ﷺ: «من اضطجع مضجعا لم يذكر الله كان عليه ترة يوم القيامة» ترة: حسرة وندامة، وقال ايضا «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وارفعها في درجاتكم، وخير لكم من انفاق الذهب والورق، وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله» رواه الترمذي.

وقال ﷺ عن المجالس والطرقات: «إياكم والجلوس في الطرقات فإن أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقها، غض البصر وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (متفق عليه)، ومثل ذلك المطاعم والمقاهي.

● يضيع وقت المسلم عندما يقضيه في تعلم الكثير من علوم الدنيا مع انه قد يجهل الكثير من مبادئ الدين.

قال النبي ﷺ «إن الله يبغض كل عالم بالدنيا وجاهل بالآخرة»، وهذا أمر ابتلي به كثير من الأمة، فقد نجد الطبيب، والمهندس، وحتى عالم الذرة الذي يجهل مبادئ الإسلام وأركان الدين.

● ويضيع وقت المسلم في أنماط في اللهو لا تليق به كما ورد في قول الرسول ﷺ «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله» رواه احمد، والنرد هو المسمى بالزهر.

ومثله لعب الورق بساعات طويلة في الديوانيات.

والانتقال من ملعب لآخر لتشجيع الكرة.

والجلوس للتلفاز، والنظر الى ما لا يحل من صور النساء.

والاستماع الى المعازف التي حرمها الله ورسوله ﷺ.

ومجالس الضحك المبالغ فيه فإن «كثرة الضحك تميت القلب» كما قال النبي ﷺ.

وهناك أمور حسنة لا ينبغي للمسلم ان يجعلها شغله الشاغل، وهمه الأكبر، مثل الشعر كما قال النبي ﷺ «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من ان يمتلئ شعرا» (متفق عليه).

وايضا اتباع الصيد، وسكنى البادية، قال ﷺ «من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن» رواه احمد والثلاثة.

قال المناوي: «من سكن البادية جفا» اي: غلظ قلبه وقسا فلا يرق لمعروف كبر وصلة رحم لبعده عن العلماء، وقلة اختلاطه بالفضلاء.

«ومن اتبع الصيد غفل» لحرصه الملهي عن الترحم والرقة أو لأنه اذا اهتم به غفل عن مصالحه، أو لشبهه بالسباع وانجذابه عن الرقة.

قال الحافظ ابن حجر: يكره ملازمة الصيد والإكثار منه لأنه قد يشغل عن بعض الواجبات وكثير من المندوبات.

وقال ابن المنير: الاشتغال بالصيد لمن عيشه به مشروع ، ولمن عرض له، وعيشه بغيره مباح، وأما الصيد لمجرد اللهو فهو محل النهي.

والله نسأل ان يوفقنا جميعا لطاعته، وان يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالمين.

بقلم: د.محمد الحمود النجدي

أسرار الهدي

الحكمة في ذلك هي الاقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام إذ أمره الله في المنام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام فأطاعه ثم فداه الله بذبح عظيم. وفي هذا حكمتان: الأولى اظهار تمام الطاعة لله عز وجل حتى ولو أمرنا بذبح اولادنا، والثانية القيام بشكر الله تعالى لنعمة الفداء حيث يجعل الذابح من الذين يتصدقون مما أنعم الله به عليه، ولم يجعله من الفقراء الذين يستحقون الصدقة وهي كما لا يخفى نعمة كبرى.

فالحاج إذا فعل ذلك يكون في اسمى منازل الرفعة، لانه لا منزل في طاعة الإنسان لمولاه ارقى من كونه يطيع الله في كل امر أمره به. وإنما وجب الهدى على المتمتع والقارن لانهما كانا ممنوعين بسبب تحريف الجاهلية وهو ايضا بمثابة شكر الله تعالى على تلك النعمة الحاصلة برفع هذا الأمر وهي حكمة بالغة.

الرحيق المختوم

حج أبي بكر رضي الله عنه

وفي ذي القعدة او ذي الحجة من نفس السنة 9هـ بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميرا على الحج، ليقيم بالمسلمين المناسك.

ثم نزلت اوائل سورة براءة بنقض المواثيق ونبذها على سواء، فبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ليؤدي عنه ذلك، وذلك تماشيا منه على عادة العرب في عهود الدماء والاموال، فالتقى علي بأبي بكر بالعرج او بضجنان، فقال أبوبكر: أمير أو مأمور؟ قال علي: لا، بل مأمور، ثم مضيا، واقام ابو بكر للناس حجهم، حتى اذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب عند الجمرة، فأذن في الناس بالذي امره رسول الله ﷺ، ونبذ الى كل ذي عهد عهده، واجل لهم اربعة شهور، وكذلك اجل اربعة اشهر لمن لم يكن له عهد، واما الذين لم ينقصوا المسلمين شيئا، ولم يظاهروا عليهم احدا فأبقى عهدهم الى مدتهم.

وبعث أبو بكر رضي الله عنه رجالا ينادون في الناس: ألا لا يحج هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وكان هذا النداء بمثابة اعلان نهاية الوثنية في جزيرة العرب، وانها لا تبدئ ولا تعيد بعد هذا العام.